مجلة العلوم الإنسانية
بجامعة حائل

جامعة حائل
University of Ha'il

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

السنة السابعة، العدد 21
المجلد الثاني، مارس 2024

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658

Arcif
Analytics

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة حائل

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

للتواصل:

مركز النشر العلمي والترجمة

جامعة حائل، صندوق بريد: 2440 الرمز البريدي: 81481

https://uohjh.com/

j.humanities@uoh.edu.sa

ردمد : إلكتروني E-1658-8819 ورقي 1658- 788X رقم الإيداع 14398368

نبذه عن المجلة

تعريف بالمجلة

مجلة العلوم الإنسانية، مجلة دورية علمية محكمة، تصدر عن وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة حال كل ثلاثة أشهر بصفة دورية، حث تصدر أربة أعداد في كل سنة، وبحسب اكتمال البحوث المجازة للنشر.

وقد نجحت مجلة العلوم الإنسانية في تحقيق معايير اعتماد معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية معامل "ارسيف Arcif " المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (32) معياراً، وقد أطلق ذلك خلال التقرير السنوي الثامن للمجلات للعام 2023.

رؤية المجلة

التميز في النشر العلمي في العلوم الإنسانية وفقاً لمعايير مهنية عالمية.

رسالة المجلة

نشر البحوث العلمية في التخصصات الإنسانية؛ لخدمة البحث العلمي والمجتمع المحلي والدولي.

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى إيجاد منافذ رصينة؛ لنشر المعرفة العلمية المتخصصة في المجال الإنساني، وتمكن الباحثين –من مختلف بلدان العالم– من نشر أبحاثهم ودراساتهم وإنتاجهم الفكري لمعالجة واقع المشكلات الحياتية، وتأسيس الأطر النظرية والتطبيقية للمعارف الإنسانية في المجالات المتنوعة، وفق ضوابط وشروط ومواصفات علمية دقيقة، تحقيقا للجودة والريادة في نشر البحث العلمي.

قواعد النشر

لغة النشر

1- تقبل المجلة البحوث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية.

2- يُكتب عنوان البحث وملخصه باللغة العربية للبحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية.

3- يُكتب عنوان البحث وملخصه ومراجعه باللغة الإنجليزية للبحوث المكتوبة باللغة العربية، على أن تكون ترجمة الملخص إلى اللغة الإنجليزية صحيحة ومتخصصة.

مجالات النشر في المجلة

تهتم مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل بنشر إسهامات الباحثين في مختلف القضايا الإنسانية الاجتماعية والأدبية، إضافة إلى نشر الدراسات والمقالات الي تتوفر فيها الأصول والمعايير العلمية المتعارف عليها دولياً، وتقبل الأبحاث المكتوبة باللغة العربية والإنجليزية في مجال اختصاصها، حيث تعنى المجلة بالتخصصات الآتية:

- علم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية والفلسفة الفكرية العلمية الدقيقة.
- المناهج وطرق التدريس والعلوم التربوية المختلفة.
- الدراسات الإسلامية والشريعة والقانون.
- الآداب: التاريخ والجغرافيا والفنون واللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والسياحة والآثار.
- الإدارة والإعلام والاتصال وعلوم الرياضة والحركة.

أوعية نشر المجلة

تصدر المجلة ورقياً حسب القواعد والأنظمة المعمول بها في المجلات العلمية المحكمة، كما تُنشر البحوث المقبولة بعد تحكيمها إلكترونياً لتعم المعرفة العلمية بشكل أوسع في جميع المؤسسات العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

ضوابط وإجراءات النشر في مجلة العلوم الإنسانية

أولاً: شروط النشر

1. أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة المعرفية في التخصص.
2. لم يسبق للباحث نشر بحثه.
3. ألا يكون مستلّاً من رسالة علمية (ماجستير / دكتوراة) أو بحوث سبق نشرها للباحث.
4. أن يلتزم الباحث بالأمانة العلمية.
5. أن تراعى فيه منهجية البحث العلمي وقواعده.
6. عدم مخالفة البحث للضوابط والأحكام والآداب العامة في المملكة العربية السعودية.
7. مراعاة الأمانة العلمية وضوابط التوثيق في النقل والاقتباس.
8. السلامة اللغوية ووضوح الصور والرسومات والجداول إن وجدت، وللمجلة حقها في مراجعة التحرير والتدقيق النحوي.

ثانيًا: قواعد النشر

1. أن يشتمل البحث على: صفحة عنوان البحث، ومستخلص باللغتين العربيّة والإنجليزيّة، ومقدّمة، وصلب البحث، وخاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات، وثبت المصادر والمراجع باللغتين العربيّة والإنجليزيّة، والملاحق اللازمة (إن وجدت).
2. فـــي حال (نشر البحث) يُزوَّد الباحث بنسخة إلكترونية من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه، ومستلاًّ لبحثه .
3. فـــي حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل– وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
4. لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
5. الآراء الواردة فـــي البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين، ولا تعبر عن رأي مجلة العلوم الإنسانية.
6. النشر في المجلة بتطلب رسوم مالية قدرها (1000 ريال) يتم إيداعها في حساب المجلة، وذلك بعد إشعار الباحث بالقبول الأولي وهي غير مستردة سواء أجيز البحث للنشر أم تم رفضه من قبل المحكمين.

ثالثًا: الضوابط والمعايير الفنية لكتابة وتنظيم البحث

1. ألا تتجاوز نسبة الاقتباس في البحوث (25%).
2. الصفحة الاولى من البحث، تحتوي على عنوان البحث، اسم الباحث أو الباحثين، المؤسسة التي ينتسب إليها– جهة العمل، عنوان المراسلة والبريد الالكتروني، وتكون باللغتين العربية والانجليزية على صفحة مستقلة في بداية البحث. الاعلان عن أي دعم مالي للبحث– إن وجد. كما يقوم بكتابة رقم الهوية المفتوحة للباحث ORCID بعد الاسم مباشرة. علماً بأن مجلة العلوم الإنسانية تنصح جميع الباحثين باستخراج رقم هوية خاص بهم، كما تتطلب وجود هذا الرقم في حال إجازة البحث للنشر.
3. ألا يرد اسم الباحث (الباحثين) في أي موضع من البحث إلا في صفحة العنوان فقط..
4. ألا تزيد عدد صفحات البحث عن ثلاثين صفحة أو (12.000) كلمة للبحث كامل أيهما أقل بما في ذلك الملخصين العربي والإنجليزي، وقائمة المراجع.
5. أن يتضمن البحث مستخلصين: أحدهما باللغة العربية لا يتجاوز عدد كلماته (200) كلمة، والآخر بالإنجليزية لا يتجاوز عدد كلماته (250) كلمة، ويتضمن العناصر التالية: (موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وأهم النتائج) مع العناية بتحريرها بشكل دقيق.
6. يُتبع كل مستخلص (عربي/إنجليزي) بالكلمات الدالة (المفتاحية) (Key Words) المعبرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسة التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (5) كلمات.

7. تكون أبعاد جميع هوامش الصفحة: من الجهات الأربعة (3) سم، والمسافة بين الأسطر مفردة.
8. يكون نوع الخط في المتن باللغة العربية (Traditional Arabic) وبحجم (12)، وباللغة الإنجليزية (Times New Roman)وبحجم (10)، وتكون العناوين الرئيسية في اللغتين بالبنط الغليظ. .(Bold)
9. يكون نوع الخط في الجدول باللغة العربية (Traditional Arabic) وبحجم (10)، وباللغة الإنجليزية (Times New Roman)وبحجم (9)، وتكون العناوين الرئيسية في اللغتين بالبنط الغليظ. (Bold) .
10. يلتزم الباحث برومنة المراجع العربية (الأبحاث العلمية والرسائل الجامعية) ويقصد بها ترجمة المراجع العربية (الأبحاث والرسائل العلمية فقط) إلى اللغة الإنجليزية، وتضمينها في قائمة المراجع الإنجليزية (مع الإبقاء عليها باللغة العربية في قائمة المراجع العربية)، حيث يتم رومنة (Romanization / Transliteration) اسم، أو أسماء المؤلفين، متبوعة بسنة النشر بين قوسين (يقصد بالرومنة النقل الصوتي للحروف غير اللاتينية إلى حروف لاتينية، تمكّن قراء اللغة الإنجليزية من قراءتها، أي: تحويل منطوق الحروف العربية إلى حروف تنطق بالإنجليزية)، ثم يتبع بالعنوان، ثم تضاف كلمة (in Arabic) بين قوسين بعد عنوان الرسالة أو البحث. بعد ذلك يتبع باسم الدورية التي نشرت بها المقالة باللغة الإنجليزية إذا كان مكتوباً بها، وإذا لم يكن مكتوباً بها فيتم ترجمته إلى اللغة الإنجليزية.

مثال إيضاحي:

الشمري، علي بن عيسى. (2020). فاعلية برنامج إلكتروني قائم على نموذج كيلر(ARCS) في تنمية الدافعية نحو مادة لغتي لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي. *مجلة العلوم الإنسانية، جامعة حائل،1*(6)، 98-87.

Al-Shammari, Ali bin Issa. (2020). The effectiveness of an electronic program based on the Keeler Model (ARCS) in developing the motivation towards my language subject among sixth graders. (in Arabic). *Journal of Human Sciences, University of Hail.1*(6), 98-87

السميري، ياسر. (2021). مستوى إدراك معلمي المرحلة الابتدائية للإستراتيجيات التعليمية الحديثة التي تلبي احتياجات التلاميذ الموهوبين من ذوي صعوبات التعلم. *المجلة السعودية للتربية الخاصة، 18*(1): 19- 48.

Al-Samiri, Y. (2021). The level of awareness of primary school teachers of modern educational strategies that meet the needs of gifted students with learning disabilities. (in Arabic). *The Saudi Journal of Special Education, 18* (1): 19-48.

11. يلي قائمة المراجع العربية، قائمة بالمراجع الإنجليزية، متضمنة المراجع العربية التي تم رومنتها، وفق ترتيبها الهجائي (باللغة الإنجليزية) حسب الاسم الأخير للمؤلف الأول، وفقاً لأسلوب التوثيق المعتمد فـــي المجلة.
12. تستخدم الأرقام العربية أينما ذكرت بصورتها الرقمية. (Arabic…. 1,2,3) سواء في متن البحث، أو الجداول و الأشكال، أو المراجع، وترقم الجداول و الأشكال في المتن ترقيماً متسلسلاً مستقلاً لكل منهما ، ويكون لكل منها عنوانه أعلاه ، ومصدره – إن وجد – أسفله.
13. يكون الترقيم لصفحات البحث في المنتصف أسفل الصفحة، ابتداءً من صفحة ملخص البحث (العربي، الإنجليزي)، وحتى آخر صفحة من صفحات مراجع البحث.

14. تدرج الجداول والأشكال- إن وجدت- في مواقعها في سياق النص، وترقم بحسب تسلسلها، وتكون غير ملونة أو مظللة، وتكتب عناوينها كاملة. ويجب أن تكون الجداول والأشكال والأرقام وعناوينها متوافقة مع نظام APA-

رابعًا: توثيق البحث

أسلوب التوثيق المعتمد فـــي المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA7)

خامسًا: خطوات وإجراءات التقديم

1. يقدم الباحث الرئيس طلبًا للنشر (من خلال منصة الباحثين بعد التسجيل فيها) يتعهد فيه بأن بحثه يتفق مع شروط المجلة، وذلك على النحو الآتي:

أ. البحث الذي تقدمت به لم يسبق نشرة (ورقيا أو إلكترونيا)، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في وجهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشرة في المجلة، أو الاعتذار للباحث لعدم قبول البحث.

ب. البحث الذي تقدمت به ليس مستلا من بحوث أو كتب سبق نشرها أو قدمت للنشر، وليس مستلاً من الرسائل العلمية للماجستير أو الدكتوراة.

ج. الالتزام بالأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي.

د. مراعاة منهج البحث العلمي وقواعده.

هـــ. الالتزام بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة حائل للعلوم الإنسانية كما هو في دليل الكتابة العلمية المختصر بنظام APA7

2. إرفاق سيرة ذاتية مختصرة في صفحة واحدة حسب النموذج المعتمد للمجلة (نموذج السيرة الذاتية).
3. إرفاق نموذج المراجعة والتدقيق الأولي بعد تعبئته من قبل الباحث.
4. يرسل الباحث أربع نسخ من بحثه إلى المجلة إلكترونيّاً بصيغة (word) نسختين و (PDF) نسختين تكون إحداهما بالصيغتين خالية مما يدل على شخصية الباحث.
5. يتم التقديم إلكترونياً من خلال منصة تقديم الطلب الموجودة على موقع المجلة (منصة الباحثين) بعد التسجيل فيها مع إرفاق كافة المرفقات الواردة في خطوات وإجراءات التقديم أعلاه.
6. تقوم هيئة تحرير المجلة بالفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو الاعتذار عن قبوله أولياً أو بناء على تقارير المحكمين دون إبداء الأسباب وإخطار الباحث بذلك

7. تملك المجلة حق رفض البحث الأولي ما دام غير مكتمل أو غير ملتزم بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة حائل للعلوم الإنسانية.
8. في حال تقرر أهلية البحث للتحكيم يخطر الباحث بذلك، وعليه دفع الرسوم المالية المقررة للمجلة (**1000**) **ريال غير مستردة** من خلال الإيداع على حساب المجلة ورفع الإيصال من خلال منصة التقديم المتاحة على موقع المجلة، وذلك خلال مدة خمس أيام عمل منذ إخطار الباحث بقبول بحثه أوليًا وفي حالة عدم السداد خلال المدة المذكورة يعتبر القبول الأولي ملغي.
9. بعد دفع الرسوم المطلوبة من قبل الباحث خلال المدة المقررة للدفع ورفع سند الإيصال من خلال منصة التقديم، يرسل البحث لمحكِّمين اثنين؛ على الأقل.
10. فـــي حال اكتمال تقارير المحكّمين عن البحث؛ يتم إرسال خطاب للباحث يتضمّن إحدى الحالات التّالية:
    أ. قبول البحث للنشر مباشرة.
    ب. قبول البحث للنّشر؛ بعد التّعديل.
    ج. تعديل البحث، ثمّ إعادة تحكيمه.
    د. الاعتذار عن قبول البحث ونشره.
11. إذا تطلب الأمر من الباحث القيام ببعض التعديلات على بحثه، فإنه يجب أن يتم ذلك في غضون (أسبوعين من تاريخ الخطاب) من الطلب. فإذا تأخر الباحث عن إجراء التعديلات خلال المدة المحددة، يعتبر ذلك عدولا منه عن النشر، ما لم يقدم عذرا تقبله هيئة تحرير المجلة.
12. يقدم الباحث الرئيس (حسب نموذج الرد على المحكمين) تقرير عن تعديل البحث وفقاً للملاحظات الواردة في تقارير المحكمين الإجمالية أو التفصيلية في متن البحث
13. للمجلة الحق في الحذف أو التعديل في الصياغة اللغوية للدراسة بما يتفق مع قواعد النشر، كما يحق للمحررين إجراء بعض التعديلات من أجل التصحيح اللغوي والفني. وإلغاء التكرار، وإيضاح ما يلزم.
14. في حالة رفض البحث من قبل المحكمين فإن الرسوم غير مستردة.
15. إذا رفض البحث، ورغب المؤلف في الحصول على ملاحظات المحكمين، فإنه يمكن تزويده بهم، مع الحفاظ على سرية المحكمين. ولا يحق للباحث التقدم من جديد بالبحث نفسه إلى المجلة ولو أجريت عليه جميع التعديلات المطلوبة.
16. لا ترّد البحوث المقدمة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر، ويخطر المؤلف في حالة عدم الموافقة على النشر
17. ترسل المجلة للباحث المقبول بحثه نسخة معتمدة للطباعة للمراجعة والتدقيق، وعليه إنجاز هذه العملية خلال 36 ساعة.
18. لهيئة تحرير المجلة الحق فـــي تحديد أولويات نشر البحوث، وترتيبها فنّياً.

المشرف العـــــام

سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

أ. د. عبد العزيز بن سالم الغامدي

هـيـئـــة الـتحريـــــر

رئيس هيئة التحرير

أ. د. بشير بن علي اللويش

أستاذ الخدمة الاجتماعية

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. سالم بن عبيد المطيري
أستاذ الفقه

د. وافي بن فهيد الشمري
أستاذ اللغويات (الإنجليزية) المشارك

أ. د. منى بنت سليمان الذبياني
أستاذ الإدارة التربوية

د. ياسر بن عايد السميري
أستاذ التربية الخاصة المشارك

د. نواف بن عوض الرشيدي
أستاذ تعليم الرياضيات المشارك

د. نوف بنت عبدالله السويداء
استاذ تقنيات تعليم التصاميم والفنون المشارك

د. إبراهيم بن سعيد الشمري
أستاذ النحو والصرف المشارك

محمد بن ناصر اللحيدان
سكرتير التحرير

الهيئة الاستشارية

أ.د فهد بن سليمان الشايع

جامعة الملك سعود – مناهج وطرق تدريس

Dr. Nasser Mansour
University of Exeter. UK – Education

أ.د محمد بن مترك القحطاني

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – علم النفس

أ.د علي مهدي كاظم

جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان – قياس وتقويم

أ.د ناصر بن سعد العجمي

جامعة الملك سعود – التقييم والتشخيص السلوكي

أ.د حمود بن فهد القشعان

جامعة الكويت – الخدمة الاجتماعية

Prof. Medhat H. Rahim
Lakehead University - CANADA
Faculty of Education

أ.د رقية طه جابر العلواني

جامعة البحرين – الدراسات الإسلامية

أ.د سعيد يقطين

جامعة محمد الخامس – سرديات اللغة العربية

Prof. François Villeneuve
University of Paris 1 Panthéon Sorbonne
Professor of archaeology

أ. د سعد بن عبد الرحمن البازعي

جامعة الملك سعود – الأدب الإنجليزي

أ.د محمد شحات الخطيب

جامعة طيبة – فلسفة التربية

فهرس الأبحاث

م	عنوان البحث	رقم الصفحة
1	أثر استخدام إستراتيجية التلمذة المعرفية في تدريس الكيمياء على تنمية مهارات التفاوض لدى طلاب المرحلة الثانوية د. محمد بن صالح الزامل	27 – 13
2	أثر استراتيجية محطات التعلم الرقمية على تنمية مهارات البحث العلمي لدى طلاب جامعة حائل د. فيصل بن فهد بن محمد الشمري	45 – 29
3	استراتيجية مقترحة لمواجهة مخاطر حروب الجيل الخامس من منظور التربية الإسلامية: دراسة وصفية كمية د. عتيق زايد الشمري	68 – 47
4	البدايات والنهايات في قصص حكيمة الحربي د. ناصر سلَّيم محمد علي الحميدي	82 – 71
5	أقوال الإمام القُتَبِي (ت: 276هـ)، في الوقف والابتداء من خلال كتاب القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس جمعًا ودراسة د. فيصل بن حمود الشمري	98 – 85
6	الفروق الاجتماعية وأثرها في عقد النكاح: دراسة فقهية نظامية مقارنة د. عبدالرحيم عجيان السناني	130 – 101
7	البلاغة القرآنية في آيات التعايش مع غير المسلمين د.عواد ملفي زايد الشمري أ.د. أحمد أحمد السيد شتيوي أ.د. أنسام محمد خالد الحسيني	145 – 133
8	درجة ممارسة طلبة جامعة المجمعة لقيم المواطنة الرقمية ودور الجامعة في تعزيزها د. خالد بن إبراهيم العفيصان	183 – 147
9	مظاهر تمكين المرأة من خلال قصة موسى مع امرأتي مدين (دراسة موضوعية) د. ماجد بن حامد الشاعر	192 – 185
10	معوِّقات الاستثمار في الأعمال الفنيَّة بالمملكة العربيَّة السعوديَّة من وجهة نظر سيدات ورجال الأعمال د. خلود بنت حمد العبيكان	215 – 195
11	نموذج مقترح لحوكمة الجامعات في المملكة العربية السعودية وتعزيز النزاهة الأكاديمية د. تماني بنت عبد الله الحمود	241 – 217
12	On the Structure of Agreeing Possessive Particles Sˁaħib and Raaʕi in Najdi Arabic: Extending the Predication Approach د. عيسى بن صنيتان الرشيدي	253 – 243

البلاغة القرآنية في آيات التعايش مع غير المسلمين

Quranic eloquence in verses on coexistence with non-Muslims

د.عواد ملفي زايد الشمري
أستاذ البلاغة والنقد المساعد، قسم اللغة العربية
كلية الآداب والفنون، جامعة حائل

Dr.Awad Melfi Zayed Al-Shammary
Assistant Professor, College of Arts and Sciences, Department of Arabic Language, University of Hail
0009-0004-5173-4714

أ.د. أحمد أحمد السيد شتيوي
أستاذ البلاغة والنقد، قسم اللغة العربية
كلية الآداب والفنون، جامعة حائل

Prof. Ahmed Ahmad Al-Sayed Shteiwi
Professor, College of Arts and Sciences, Department of Arabic Language, University of Hail
0009-0006-6909-8941

أ.د. أنسام محمد خالد الحسيني
أستاذ النحو والصرف، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون، جامعة حائل

Prof. Ansam Muhammad Khaled Al-Husseini
Professor of grammar and morphology, College of Arts and Sciences, Department of Arabic language University of Hail, 0009-0002-6199-9631

(قُدم للنشر في 2023/09/22، وقُبل للنشر في 2023/12/12)

المستخلص

يهدف البحث إلى بيان إعجاز القرآن في آيات التعايش مع غير المسلمين ودراستها من الوجهة البلاغية، بدأ بحقوق غير المسلم، وواجباته، وضرورة التعامل معه بمكارم الأخلاق، ما لم ينصب عداء للإسلام، أو يقف أمام نشر دعوته، انطلاقا من التدبر لمقام الآيات، وسياقها، وخصائص خطابها البياني؛ مع الإفادة من الكتب والبحوث التي آيات التعايش من الجوانب التربوية والثقافية، والأخلاقية، والدينية، والدعوية. واختار البحث المنهج الاستقرائي، فيبدأ بجمع الآيات التي تتضمن فكرة واحدة، ويعالجها بلاغيا، والنظر في المفردات والتراكيب وبديع النظم، وروعة التصوير، واستنباط المعاني من مجموعها. ويقوم البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، تتناول المقدمة أهمية البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، وأسئلته، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطته، ويشمل المبحث الأول: بلاغة الآيات التي تتناول حقوق غير المسلمين. الثاني: بلاغة آيات التعامل مع غير المسلمين. الثالث: خصائص النظم في آيات التعايش مع غير المسلمين. وخاتمة، ومنها: تغليب أساليب الأمر والنهي المباشرة وغير المباشرة في الحديث عن حقوق غير المسلم. خصوصية خطاب القرآن في الحديث عن مولاة غير المسلمين وعدمها. ويوصي البحث بدراسة بلاغة آيات الصلاح في الإنسان والعمران، وآيات التعارف والمصالحة.

الكلمات المفتاحية: البلاغة القرآنية، التعايش، التسامح، البر.

Abstract

The research aims to explain the miracle of the Qur'an in the verses on coexistence with non-Muslims and study them from a rhetorical point of view. It begins with the rights of the non-Muslim, his duties, and the necessity of dealing with him with good morals, if he does not establish hostility to Islam, based on contemplating the position of the verses and their context. And the characteristics of her graphic speech. he researches chose the inductive approach and began by collecting verses that contain a single idea, and treats them rhetorically, looking at the vocabulary, structures, wonderful systems, and the splendor of photography, and deducing meanings from their totality.

The research is based on an introduction, a preface, three sections, and a conclusion. The introduction deals with the importance of the research, the reasons for choosing it, its objectives, its questions, its methodology, previous studies, and its plan. The first section includes: the eloquence of the verses that address the rights of non-Muslims. Second: The eloquence of the verses on dealing with non-Muslims. Third: Characteristics of systems in verses on coexistence with non-Muslims. And a conclusion, including: the predominance of direct and indirect methods of command and prohibition in talking about the rights of non-Muslims. The specificity of the Qur'an's discourse in talking about being friends with non-Muslims or not. The research recommends studying the rhetoric of the verses of righteousness in man and life, and the verses of acquaintance and reconciliation.

Keywords: Quranic eloquence, coexistence, Tolerance, Lord..

المقدمة

القرآن الكريم كتاب هداية للبشرية جميعا، أرشدها إلى ما فيه صلاحها، وضمن للجميع حقوقهم، دون تمييز للون أو جنس أو عرق، وأكد على التعايش السلمي، والمحافظة على حقوق وواجبات المختلفين في العقيدة، ومعاملتهم بمكارم الأخلاق، وحميد الصفات، ووجد في الجانب الآخر آيات قليلة تحذر من موالاة غير المسلمين، بعد نصبوا العداء، ووقفوا أمام نشر دعوة الإسلام، وصدوا عن سبيله، وتمسك نفر من المسلمين بهذه الآيات القليلة، فعمموا الأحكام، ودعوا إلى قطيعة التعامل مع غير المسلمين، دون النظر إلى بلاغة القرآن، وخصوصية التعبير، والوقوف على السياق والمقام، وأسباب النزول فغابت عنهم المقاصد العظمى، والغايات الكبرى؛ فضلا عن كثرة الآيات التي تدعو إلى إنفاذ حقوق غير المسلمين المسالمين، والمعايشة معهم بأمن وأمان، وعدل وإحسان، والوفاء بعهودهم؛ لهذا قصدنا البحث في آيات التعايش والتسامح مع غير المسلمين من الوجهة البلاغية، وإبرار الأسرار المستنبطة من الألفاظ وخصائص التراكيب ودلالاتها، وروعة التصوير، ، والكشف عن خصائص النظم وبديع التأليف، ودقة النسق.

أسباب اختيار البحث:

1. الوقوف على بلاغة آيات التعايش مع غير المسلمين، وبيان دقة الألفاظ وخصائص التراكيب ودلالاتها، وجمال التصوير.
2. كثرة الآيات التي تدعو إلى ضرورة المحافظة على حقوق غير المسلم، والتعامل انطلاقا من مكارم الأخلاق، وحميد الصفات.
3. بيان دور السياق والمقام في تحليل آيات التعايش مع الآخر بلاغيا.
4. الكشف عن خصوصية الخطاب القرآني بما يلائم مقتضى الحال في بناء العلاقة مع غير المسلم.

أهداف البحث:

1. بيان أسرار التعبير القرآني، وخصوصية الخطاب، وتصريف القول في آيات التعايش
2. بيان دور السياق والمقام في تحديد الغرض البلاغي في آيات التعايش.
3. الوقوف على بلاغة آيات التعايش مع غير المسلمين في بيان المعاني والمقاصد.
4. الكشف عن الأساليب والمعاني التي ترسم طبيعة التعامل مع غير المسلم، وأثرها الإيجابي على الفرد والمجتمع.

أسئلة البحث:

1. ما مفهوم التعايش؟
2. ما خصائص الألفاظ والتراكيب والصور البيانية في آيات التعايش مع غير المسلمين؟
3. هل للسياق والمقام دور في تحديد الغرض البلاغي في آيات التعايش؟
4. ما أثر الوقوف على بلاغة آيات التعايش مع غير المسلمين في بيان المعاني والمقاصد؟
5. ما الأساليب والمعاني التي يكثر حضورها في آيات التعايش والتسامح مع غير المسلمين؟

منهج البحث:

قام البحث على المنهج الاستقرائي، حيث يبدأ بجمع الآيات التي تتضمن فكرة واحدة، ويعالجها بلاغيا، من خلال تحليل المفردات والتراكيب وبديع النظم، وروعة التصوير، واستنباط المعاني من مجموعها. والربط بين المعاني في السورة الواحدة أو غيرها من السور التي تلتقي معها في المقصد العام، ومناسبة كل آية لسياقها.

الدراسات السابقة:

تناول عدد من الباحثين طبيعة علاقة المسلمين بغيرهم من جوانب تربوية وثقافية وأخلاقية ودينية، والاستشهاد على ذلك من القرآن والسنة، ومن هذه الدراسات:

دراسة (الهرباوي، 2020) وهدفت الكشف عن أهمية نشر التعايش بين أفراد المجتمع، وأهم المؤسسات المنوط بها تعزيز التعايش لدى أفراد المجتمع، وكيفية تنمية مفهوم التعايش بين الأديان لدى النشء.

وتناولت دراسة (اللحيدان، 2017) التعايش في القرآن الكريم من الجانب التأصيلي؛ لأجل إبراز الأصول العامة من النصوص الشرعية التي تحدد طبيعة علاقة التعايش بين الآخرين، وشملت المباحث التعايش مع المسلمين خاصة وغير المسلمين عامة. والبحث جيدة في بابها لكنها بعيدة عن موضوع دراستنا التي تهتم بالجانب البلاغي لآيات التعايش مع غير المسلمين.

وقامت دراسة (أمين ومصطفى وداود ومحمد، 2017) ببيان جملة من المبادئ المقررة في الشريعة، كالمعايشة، والهداية، والوسطية، والبحث موضوعية لم تنظر إلى الجانب اللغوي أو البلاغي، وبيان وجه إعجاز القرآن في آيات التعايش مع غير المسلمين، وهو ما نقوم به في دراستنا.

وتناولت دراسة (عبد الله، 2018) آيات التعايش في القرآن الكريم من الرؤية الأصولية العامة، والوقوف على فهم روح التشريع

من خلال النصوص. ودعت إلى بث روح التعايش أطفال المدارس وغرس معاني الاحترام بينهم. والبحث جيدة في بابها، لكنه بعيدة عن موضوع دراستنا.

فآيات التعايش والتسامح مع غير المسلمين في القرآن الكريم من الجانب البلاغي لم تتناول من قبل، على حد علمنا، ولهذا آثرنا دراستها من هذا الجانب؛ رغبة في الكشف عن أسرار التراكيب، وبديع نظمها، وبيان الوجه الصحيح في فهم آيات التعايش انطلاقا من الوعي السياقي والبلاغي للوقوف للمقاصد والمعاني السامية التي تضمن السعادة والطمأنينة للإنسانية جميعا.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، تتناول المقدمة أهمية البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، وأسئلته، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطته، ويشمل المبحث الأول: بلاغة الآيات التي تتناول حقوق غير المسلمين. وتناول المبحث الثاني: بلاغة آيات التعامل مع غير المسلمين. أما المبحث الثالث فيتضمن: خصائص النظم في آيات التعايش مع غير المسلمين. ثم خاتمة البحث وقائمة المراجع.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

التمهيد

مفهوم التعايش:

جاء الإسلام هُدى ورحمة للعالمين، ودعا إلى السماحة الإنسانية وطبقها النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– وصحبه الكرام، وأحدث تطورًا إيجابيًا ملحوظًا في داخل الجزيرة العربية وخارجها، وسار على هديه الخلفاء الراشدون، وانطوى تحت لوائه ملايين البشر ينعمون بفضله، وعكست هذه المظاهر على مر التاريخ سلوك المسلمين عمليا، وساد بينهم وبين المخالفين لهم في العقيدة التعايش والتعاون والعدالة والحرية والإخاء والمودة، وكان التفاضل بينهم على التقوى والعمل الصالح، ولم يكن الاختلاف في العقيدة أو الأجناس والألوان والعناصر والبيئات عائقًا أمام التعايش والتقارب والتآلف والوئام، وضمن الإسلام لغير المسلمين الحرية والعيش الآمن، فصان دور عبادتهم، وعوملوا بالبر والإحسان قولا وعملا، وحذر الإسلام من نقض العهود والمواثيق، ضمانا لأعراضهم ودمائهم. ويدل لفظ التعايش والتسامح على قبول الآخر والإقرار بحقوقه، وهذا يؤدي إلى المحبة والتآلف، والتسامح أداة للحياة الكريمة والتفاعل المثمر مع كل فئات المجتمع، وبذل ما تستطيع القيام به طواعية، وتقبل الآخر ومعايشته بلين مهما اختلفت معه، ونبذ الكراهية والتعصب والتشدد، والاستبداد، وطمس فكر الآخر وآرائه، والعمل على الجوانب المتفق عليها إنسانيا وتفعيلها من أجل النهضة التي تفيد جميع الأفراد. والسماحة تشمل أصول الدين وفروعه وصوره التي لا تكاد تحصر فهي تتسع باتساع معالم الدين، وعقيدة الإسلام مبنية على التسامح في كل شؤون الحياة، وحث الإسلام على استعمال معالي الأخلاق ومكارمها، وترك المشاحة والتشرذم، وأقر بالمساواة بين الناس، وإبعاد الطبقية، وحل مكانها الوحدة الإنسانية، وكان من آثارها التسامح والتعايش والبناء، وتجلت السماحة في القرآن الكريم، ووجوب البر بغير المسلمين والإقساط إليهم من الذين لم يقاتلوا المسمين، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة: 8]، وجاءت الأحاديث النبوية الكثيرة التي تحرم الظلم، وتكشف عن عواقبه وآثاره الوخيمة، وتطبيق التعايش والتسامح مع غير المسلمين دليل على القيم العليا، والقيم الحضارية، والقيم الخلقية وفيها يسمو المسلم بسلوكه الفاضل ويتعامل مع الآخرين بطهر ومحبة ووئام وبر وصدق ووفاء.

المبحث الأول: بلاغة آيات ضمان حقوق وواجبات غير المسلم.

تضمنت آيات التعايش مع غير المسلم حقوقه في الترابط الاجتماعي، وبناء علاقات إنسانية سامية تقوم على التعامل بالحسنى، وتحرص على حقوقه المتنوعة.

بلاغة آيات التعايش والترابط مع الآخر:

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾[الروم: 22]، وقال جلَّ شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]، فالآية الأولى تقرر أن التنوع والاختلاف آية من آيات القدرة الإلهية في الخلق، ودليل على عظمته، أما الآية الثانية فبيان وإيضاح وتوجيه، وإخبار، فالتعاون والسلام والتعارف والمودة وسيلة تضمن السعادة للإنسان، وتحقق له مطالبه المادية والمعنوية. ويلحظ الجامع بينهما في الخطاب الجمعي (كم، وا)، والكشف عن الهدف، وهو التواد والتراحم والتعاطف في الدنيا، وقد استهلت الآية الثانية بالنداء للناس جميعا، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ، كناية عن المساواة بينهم، وجملة ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُم ﴾ تعليل للنهي عن التفاخر، وكأنها نتيجة للمقدمة قبلها، وفصلت عما قبلها؛ لأنها بمنزلة البيان لها، والجملة قبلها اعتراضية بقصد ادماج الهدف المقصود، وهو التعارف لا التناحر. وفي ذلك تأكيد على أن الاختلاف للتلاقي لا للتنافر والتعالي، وبيان لتساوي الناس في الكرامة الإنسانية، وأن الفارق الجوهري هو التقوى، فأنتم «مخلوقون لأنْ تتعارفوا ولأنْ تعرفوا الحقائق، وأما الشرف والكرم فهو بتقوى الله تعالى وسلامة القلوب (ابن عطية، 2001: 174/6). وفي الآية تقرير لمبدأ الأخوة في النسب، فهم ينتمون إلى أصل واحد، وهذا داعٍ للاحترام والتقدير المتبادل، وتحويل

الاختلاف إلى أمر إيجابي، من خلال الاستفادة من القواسم المشتركة بين الناس، والبناء على وجود المصالح المتبادلة بينهم بُغية تحقيقية الهدف الأسمى، وهو عمارة الأرض، فضلا عن التواصل والتراحم والتواد، وبيان أن مجال التفاخر في الفضائل المعنوية، والطبائع النفسية المحمودة لا بالنسب والحسب، فالكريم بالتقوى.

وتذييل الآية بقول﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾كناية عن الأمر بتزكية النيات في التعامل مع المختلفين، والتحول نحو الإيجابية، ولو كان مخالفا للمألوف. وجاء التأكيد لمحو ما ألفه المجتمع غير المسلم من تقسيم الناس وفق المنازع القبلية، والتعامل من منطلق طبقي يفرق ولا يجمع.

بلاغة آيات القرآن في بيان حرية اختيار غير المسلم عقيدته:

كفل الإسلام لغير المسلم حقه في اختيار عقيدته، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[الكهف: من الآية:29]، وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: 40]. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[يونس:99]، قال تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾[البقرة: 256]. دلت الآيات السابقة على سماحة الإسلام في عدم إكراه أحد على الدخول في دين الإسلام، وترك حرية الاعتقاد للناس جميعا، وأنه مسؤول عن اختياره، وكشفت الآية الأولى عن المهمة الأساسية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهي عرض التعاليم الإسلامية أمام الناس جميعا، وتركهم على حريتهم في الاعتناق، والفاء تدل على ترتيب ما بعدها من التهديد على الأمر، لا على مضمون المأمور به، والمعنى: قل لهم ذلك، فمن شاء أن يؤمن به أو أن يصدِّقَك فيه فليؤمن ومن شاء أن يكفُر به أو يكذِّبَك فيه فليفعل (أبو السعود، د ت: 257/4). وقد بنيت آية الرعد في قوله ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ على القصر بطريق (إنما)، ويفيد قصر مهمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. التبليغ فقط دون التجاوز إلى غيرها، وفي الجملة الثانية تأكيد مفاد من القصر، وهو أن أمر الحساب على اختيار العقيدة مرجعه لله تعالى. وأكدت آية فصلت على أن الهداية مشيئة إلهية

وحريقة الاعتقاد تقوم على عناصر ثلاثة: الأول: التفكير الحر الذي لا يخضع للتقليد. الثاني: منع الإكراه على اعتناق عقيدة معينة تحت تهديد أو تخويف أو تعذيب. الثالث: أن يكون حرًا في شؤون دينه، لا يمنعه اضطهاد من إظهار دينه وإقامة شعائره. وحينما دعا القرآن إلى الدين الإسلامي كان للتحرر من التقليد، كما دعا إلى التفكر في الكون المنظور على أساس وبرهان، والتعرف على الحقائق التي لا تقبل خلافًا، والتأمل في خلق السموات والأرض وما بينهما (أبو زهرة، 1426: 97-98)، فلكل إنسان قراره في اختيار عقيدته، فعلى المسلمين ألا يتشغلوا بهذا الأمر، غير أنَّ عليهم الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك أمر الاهتداء لله وحده، فالهداية هي مشيئة إلهية، كما هو صريح في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56]، هذا بيان صريح بأمر الهداية حيث يعود نفعه للمهتدي لا للدين، ومن أعرض فجزاؤه مقصور عليه، ويتضمن الشرط في الحالتين المقدمة والنتيجة، والصورتان متقابلتان ، وهذا يعني أن تحمل المسؤولية من صاحب الاختيار، فلا يرمي أحد بأنه أرغمه على اعتقاد بعينه، وترك آخر.

وآية يونس دليل على القدرية في أنه سبحانه وتعالى لو شاء إيمانهم لآمنوا، وفي قوله سبحان ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ ترتيب الإكراه على المشيئة بالفاء، وإيلاؤها حرف الاستفهام للإنكار، أي: إنكار صدور الفعل من المخاطب لا إنكار كونه هو الفاعل، فالتقديم لتقوية حكم الإنكار لا التخصيص، إذ يمكن تحصيله بالإكراه عليه فضلاً عن الحث والتحريض عليه (الخفاجي، 1997: 106/5-107)، وأكد القرآن في أكثر من آية حق غير المسلم في اعتقاد ما يراه حقًا، وله الحرية الكاملة في تأدية شرائعه، بلا اضطهاد من مخالف ولا مصادرة لآرائه، وهو من يتحمل مسؤولية اختياره، شريطة ألا يؤذي المسلمين، أو يمنعهم من ممارسة عبادته (البيضاوي، 1999: 440/1).

بلاغة القرآن في آيات الحوار مع المخالف

علاقة التواصل بين بني الإنسان أمر فطري مع وجود الاختلاف، والموجّه الرئيس في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: 99]، وقوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: 118-119]، الآية الأولى تفيد أن تحقيق إيمان جميع المكلفين وجوداً وعدماً موقوف على مشيئته سبحانه مطلقاً، ومفعول المشيئة مقدر، والمعنى: لو شاء سبحانه إيمان من في الأرض من الثقلين لآمن (الألوسي، د ت: 127/8). وأفاد الاستفهام في قوله سبحانه: ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ تقوية حكم الإنكار، انطلاقا من أن النبي صلى الله عليه وسلم. لم يعتقد اشتراكه في ذلك، ولا انفراده به، وعدها الزمخشري من قبيل التخصيص؛ معتمدا في ذلك على حرص النبي وشغفه بإيمانهم، كأنه يعتقد قدرته (المنجور، 2009: 1/ 426)، وكلا المعنيين مفادان من الجملة، فالنكات البلاغية لا تتزاحم، وهذا من عطاء القرآن وبلاغته. أما قوله تعالى ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة: 256]، فاستُهِلَّ بنفي الإكراه عن الدخول في الإسلام؛ لوضوح أدلته وسطوع براهينه على أنه الدين الحق، وجاء النسج القرآني معبرًا عن المقصد صريحًا بإيجاز، وتكوَّن التعبير من المقدمة والنتيجة، حيث نفى الإكراه عن الدين؛ لوضوح الحق من الباطل والرشد من الغي، ثم عبر عن الجزاء لمن هدي إلى الرشد.

بلاغة آيات القرآن حق غير المسلم في الحفاظ على دمه وعرضه وماله وكرامته، وصيانة دور عبادته:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 151]. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الإسراء: 33] ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[المائدة: 32]، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70]. قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: 40]. ضمن الإسلام العيش الآمن للناس جميعا، وأشركت الشريعة الإسلامية غير المسلمين مع المسلمين في الحقوق العامة، وحفظت لهم أمنهم وسلامتهم، ودماءهم وأعراضهم وكرامتهم، وصانت دور عبادتهم، وجعل ذلك من أسباب الإذن بالقتال لحماية دور عبادة غير المسلمين، ووعد من يقاتل دفاعًا عنها بالنصر، وأكدت آيات القرآن تقدير غير المسلم، ومراعاة حقوقه انطلاقا من إنسانيته، والناظر في نسيج الآيات يقف على بلاغتها. وبدأت الآية الأولى والثاني بالنهي الصريح المؤكد على ضرورة الترفع عن الفعل الشنيع ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ وهذا يعني أن المسلم مأمور بحماية غير المسلمين، وأكدت على حرمة قتل النفس بلا تفرقة بين مسلم وغير مسلم، وصدرتا بأسلوب النهي الصريح ، وجعل الله تعالى قتل النفس بغير وجه حق قتل للبشرية جميعًا ،كما في آية المائدة، أي: تسبب لبقاء نفس واحدةٍ موصوفةٍ بعدم ما ذُكر من القتل والفساد في الأرض إما بنهي قاتلها أو استنقاذها، أو غير ذلك من أسباب الهلكة، ودلالة التشبيه في قوله سبحانه: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ تهويلُ أمرِ القتلِ، وتفخيمُ شأن الإحياءِ من خلال تصوير إيجاب الرهبةِ والرغبة، وصدر النظمُ الكريمُ بضمير الشأنِ (أَنَّهُ)؛ لزيادة تقرير ما بعده، وتمكينه من ذهن السامع، فضلًا عن كمال شهرته ونباهته، وسرعة تبادره إلى الأذهان ، وذكر الضمير الموجب؛ لزيادة تقريرِ ما بعده في الذهن)أبو السعود، د ت: 229/2)؛ ولهذا لا يصح إلحاق الأذى بأي نفس بغير وجه حق، ولا يجوز قتال غير المسلم إلا إذا كان ردًّا على عدوان قام به، أو نقض عهدًا، أو منع وصول الدعوة الإسلامية للناس، أو دفعا لظلم وقع على مستضعف، وعلى هذا لا يجوز إذاء الذمي باللسان، أو باليد، وهذا أيضا للمسلم وغير المسلم سواء بسواء.

وكرامة الإنسان مصانة دون النظر لعقيدته ولونه وجنسه، واستهلت الآية بالتأكيد المتتابع، للدلالة على أن الله وحده هو صاحب القول فيه، ولا دخل فيه لبشر، ولم يذكر متعلق التكريم للدلالة على عمومه لجميع الخلق بلا تفرقة. وحماية دور العبادة لغير المسلم يجب الحفاظ عليها، وجاء ترتيب دور العبادة مخالفًا للترتيب الوجودي له؛ وذلك لمناسبة بينها وبين المساجد، وقيل إنما جيء بهذه المتباعدات على هذا النسق للانتقال من شريف إلى أشرف؛ فإن البيع أشرف من الصوامع؛ لكثرة العباد فيها فإنها معبد للرهبان وغيرهم، والصوامع معبد للرهبان فقط، وكنائس اليهود أشرف من البيع؛ لأن حدوثها أقدم وزمان العبادة فيها أطول، والمساجد أشرف من الجميع؛ «لأن الله تعالى قد عُبد فيها بما لم يعبد به في غيرها» (أبو السعود، د ت: 87/3). لقد ترك الإسلام لغير المسلم حرية اختيار دينه، وأباح له ممارسة شعائره، وأوجب على المسلمين الدفاع عن أمكان عبادته.

بلاغة آيات التعايش في الحديث عن السلام والتسامح والعفو مع غير المسلم

الإسلام يدعو إلى التسامح والعفو؛ رغبة في إيجاد علاقات سوية بين الناس جميعًا، وعدم الاستيلاء عليهم بالقهر أو الغلبة، خاصة إذا رغبوا في السلام والاستلام، يقول جلَّ شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: 94]. استهلت الآية بأسلوب النهي (ولا تقولوا)، وفي ذلك دلالة على الأثر السيّء لفعل المنهي عنه، ويسجل القرآن مناقشة المؤمن للداخل في الإيمان حديثا بحثًا عن صدقه، والإسراع في الحكم بعَدَمه ﴿ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾؛ الداعي للنفي هو الرغبة في مَاله، وفي هذا زيادة في التوبيخ والتقريع، وقد كشفت جملة ﴿ تَبْتَغُونَ﴾ عن المعاني النفسية الممقوتة الطالبة للمال لا غيره؛ وفي هذا دعوة للمراجعة، وتصحيح للإيمان، وفي ذكر ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تحقير لها، ودلالة على نفعها الزائل؛ لهذا أعقبها ما يجب التمسك به ﴿ فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾ من الاطمئنان النفسي، ورضا الله تعالى، والاعتزاز بالقيام بالواجب، والرجاء في ثواب الله تعالى، كما دل قَوْلُهُ: ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ ﴾ على التذكير بالفضل، والتحول الإيجابي الحاصل من الدخول في الإيمان بعد الكفر، وهذه تربية عظيمة، تُشعر الإنسان عند مؤاخاته غيره أن يتذكر أحواله السابقة التي لا تختلف عن أحوال من يؤخيه؛ ليرتدع ويتراجع عما هو عازم عليه من العنف والقسوة واللهث وراء متاع الحياة الدنيا، فضلًا عن الترفع عن ما يقعد عن الهدف الرئيس، وهو تحقيق الإيمان الخالص وأثاره في السلوك الاجتماعي. هذا، والآية تتضمن حكمة عظيمة في الترابط الإنساني، وبث الثقة والأمان بين الأفراد، وإزاحة الشك الذي قد يطرأ بدافع غير حقيقي، والتدخل وخيم العاقبة، فضلًا عن الرغبة في نشر المحبة والبشاشة في قلوب الآخرين، وكسب ثقته عله يدخل في الإيمان، ويصدق في القول والفعل (ابن عاشور، 2000: 226/4–227).

المبحث الثاني: بلاغة آيات التعايش مع الآخر:

بلاغة آيات القرآن في تحقيق العدل مع غير المسلمين:

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ

لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[المائدة: 8]. قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 90]. من مظاهر التعايش مع الآخر تحقيق العدالة الإنسانية، فالبر والقسط هدفان رئيسان يجب على المسلم تطبيقهما للناس جميعا، وهذا من خصائص الشريعة السمحة فقد رسخت صفة إنصاف المخالفين، ودعت إلى تحقيق العدل في كل مجالات الحياة معهم، بلا تغليب للهوى، أو رغبة في الميل عن الحق لعداوة، ويؤيد ذلك قوله جلَّ وعلى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾، الآية صريحة في أن العدل مع الطرف الآخر دليل التقوى؛ لإحقاقه الحق، والاعتراف به حتى لو كان في صالح مخالفه. ولما كان الحديث عن المعاني النفسية حيث البغض والكره للمخالف جاء قوله سبحانه ﴿ شَنَآنُ ﴾ على معنى: لا يحملنكم بغضكم للمشركين على ترك العدل معه، فتعتدوا عليهم انتصارا منهم لأنفسكم ، وتشفيا بما في قلوبكم من الضغائن بسبب ما ارتكبوه تجاهكم من قذف أو قتل أولاد أو نساء أو نقض عهد، وتدل الكلمة بجرسها وإيحائها على المعاني الغائرة في النفس، فهي مثابة حاجز منيع عن تطبيق العدل، لهذا حث القرآن على عدم تغليبها على الإنصاف، وإمحاء كل المنازع التي تقف حجر عثرة على تحقيقه، ونلحظ النسج القرآني البديع في ترتيب المقدمات على النتائج ، وجاء التعقيب بقوله سبحانه ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ فقد نهاهم أولاً أن يكون حمل البغضاء يدعوهم لترك العدل، ثم استأنف فصرّح لهم بالأمر بالعدل تأكيداً وتشديداً ، ثم ذكر لهم وجه الأمر بالعدل، وهو أنه أقرب إلى التقوى ، وأدخل في مناسبتها . وفيه تنبيه عظيم على أن وجود العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله وإذا كان بهذه الصفة من القوة، وتطبيقه فينصح بتطبيقه مع المؤمنين من باب أولى (الزمخشري، 1987: 612/2-613).

ويلحظ بلاغة القرآن في ترتيب المعاني في قوله ﴿قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ حيث بدأ بالقيام لله تعالى في مقام ترك العداوة؛ وهذا أردع للمؤمنين، ثم ثنى بالشهادة بالعدل، بعد التخلية. ويلحظ في الآية الربط بين فعل الأمر (اعدلوا) وبين أثره الإيجابي ﴿ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾، وأمَّا الأمر بالتعاون فهو تعْلِيلٌ لِلنَّهْيِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ ﴾، وفي النهي _أيضًا_ توكيد للأمر السابق؛ لأن التعاون على فعل البر والتقوى له آثاره الطيبة، فبه تكسب محبة الناس، وإن كانوا غير مسلمين؛ طمعًا في هدايتهم، وفي هذا توجيه بضرورة تحقيق العدل مع غير المسلم، ولو كنتَ تبغضه، وفي هذا دعوة للحفاظ على النظام الاجتماعي الذي يعدُّ العدلَ أقوى أركانه، وبفقده ينهار البناء الإنساني. وجاء التعبير القرآني بنصه في آية سابقة من نفس السورة قال تعالى ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ﴾ [المائدة: 2].تنفق هذه الآية مع السابقة في حض المؤمنين على مكارم الأخلاق، والعفو عمن حدثت منها إساءة للمؤمنين فخملوا في نفوسهم بغضا وكرها، وفي هذا دعوة على عدم الانتقام، والانتصار لأنفسهم، ودلت الآية الثانية عن على البغضاء الحاملة على الانتصار، وهي صده الكفار للمؤمنين عن بيت الله الحرام عام الحديبية فقوله سبحانه ﴿ أَن صَدُّوكُمْ﴾في موضع المفعول لأجله، أي أن الشنآن والرغبة في الانتقام والمجازاة؛ ولهذا جاء التحذير من الاعتداء ﴿ أَن تَعْتَدُوا ﴾؛ لأن هذا يتعارض مع الطبيعة الإيمانية، أما الآية الثانية فليس بها إفصاح بجريمة، بل الأمر للمؤمنين بالعدل، ولهذا ناسب وصيتهم به، وتفيله واقعيا ﴿ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا ﴾، وبان بهذا المناسبة والالتئام بين المقدمة والنتيجة، وورود كل من المنهي عن ارتكابه في الآتين على ما يجب ويناسب المقام والغرض (الغرناطي، 1983: 371/1). وجاء تذييل الآية بقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾؛ لتأكيد المعنى المرغوب في تحقيقه مع الناس جميعًا، وهو العدل، وبيان أن أيَّ تصرف نحو الظلم واضحٌ لربِّ البرية سبحانه، وفي ذلك «زيادة إلزام في طلب العدل بمعنى أن من يلجأ إلى التحايل في العدل، أو محاولة المكر وإلباس الجور ثوب العدل فإن الله خبير ومطلع على خبايا النفوس» (حفني، 1992: 53). ويلحظ تصريح بالأمر بالعدل وبيان أنه المؤدي للتقوى بعد ما نهاهم عن الجور، لكونه مقتضى الهوى (البيضاوي، 2002: 432/1). أما آية النحل فقد استفتحت بالخلق الكلي الذي يندرج تحته كل مكارم الأخلاق، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾، ولم يعين القرآن مجال العدل، ولا من يكون معه العدل ويشمله، وهذا دليل بياني على أنهما مطلبان يجب تحقيقهما مع المسلم وغير المسلم دون تفرقة، والعدل بداية الأمر، والإحسان ذروته ومنتهاه، والآية من باب الإيجاز بالقصر، وهي جملة جامعة لمكارم الأخلاق؛ لأن في أخذ العفو التساهل والتسامح في الحقوق واللين والرفق في الدعاء إلى الدين، وفي الأمر بالمعروف كف الأذى، وغض البصر، وفي الإعراض الصبر والحلم والتؤدة. (الطيبي، 1986: 122)، ونص الجمل المتوالية في الآية خبري على معنى الأمر أي: أعدلوا، وأحسنوا، وآتوا، واتركوا، وفي هذا دلالة على وجوب التنفيذ؛ لأنه أمر من العلي القدير، والتأكيد على أن فيه منفعة لهم، ودل ختام الآية ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ على المعنى المقصود منها، وهو أمرتكم، فتذكروا، ونفذوا ما أمرتم به، وترفعوا عن ضده.

ويلحظ الانسجام والتناغم والترابط بين الجملتين من حيث توزيع المفردات وتتابعها ودلالاتها الاجتماعية ﴿ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ ﴾ كما يتضح التقابل بين المفاهيم في جملة الأمر وجملة النهي، مقابلة ثلاثة بثلاثة مع اتحادهما في الحديث الموجه للجمع، فضلا عن اتحادها في المسند إليه﴿ إِنَّ اللَّهَ ﴾، وفي النتيجة الواردة في تذييل الآية ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾. وقد ذكر ابن مسعود رضى الله عنه عن بلاغة هذه الآية بأنها أجمع آية في القرآن للخير والشر، ولو لم يكن في القرآن غيرها لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين، ومجيئها عقب قوله تعالى في نفس السورة ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:89]؛ لمناسبتها لها، وارتباطها

بها، فهي مع وجازتها أيقظت عيون البصائر، وحركتها للنظر فيما عداها (الخفاجي، 1997: 642/5) و وهذا منهج قرآني في رسم العلاقة بصورة إيجابية وفاعلة مع كل مكونات المجتمع أقرباء وغرباء، ومسلم وغير مسلم، وقد كشفت الآية من خلال نظمها عن الإعجاز البلاغي في النسج، والهدف، والبناء، والنتائج.

بلاغة القرآن في خطاب المخالف بالحسنى

قال تعالى:﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 46]. قال تعالى:﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125]. قال تعالى:﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[الإسراء:53].﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:33]، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۙ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 24]. الآيات السابقة ترسم المنهج السديد في خطاب الآخر بأسلوب موجز؛ لتحقيق الأهداف النبيلة، وتكشف عن سوء العاقبة في التخلي عن الطريق القويم في الحوار، وتؤكد على أن التعامل مع المخالف بمكارم الأخلاق، وحميد الصفات، والحفاظ على مشاعره، ومجادلته بالتي هي أحسن متى لزم الأمر، ضرورة التعايش السلمي، ووسيلة لبيان حقيقة دين الإسلام.

وبدأت آية العنكبوت بالنهي بصيغة الجمع عن الجدال الفاقد لصفة الحسن؛ لعدم مناسبته مع الشبهات المتفاقمة من الطرف الآخر؛ لهذا لزم التنويه باختيار الأسلوب الأمثل، والممارسة الفاعلة لمحو الاختلاف؛ وهذا يلزم من الداعية التحلي بالصبر والمثابرة والإخلاص، والثبات على الحق. وقوله ﴿ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ على معنى: لا تجادلوهم بجدال إلا بجدال بالتي هي أحسن، ودل اسم التفضيل «أحسن» على اختيار أفضل صور الجدال، أو المبالغة في الحسن، وأنه أقرب الطرق للوصول إلى قلب المتلقي؛ إذ الشيطان يُفسد ويَهيج الشر والمِراء، ويُغري بعضَهم على بعض؛ لتقع بينهم المشاقّةُ والمشارّة والمعازّة والمضارّة، وهذا يؤدي إلى تأكد العِناد وتمادي الفساد، فهو تعليلٌ للأمر السابق (أبو السعود، د ت: 178/5). وأنَّ الجدال بالتي هي أحسن غرضه الإلزام والإفحام، وهذا يحتاج إلى الصبر والرفق والعلم قبل الدعوة، والرفق أثناءها والصبر بعدها (اللحيدان، 1986: 278–279). وهذا يلتقي مع ما تقتضيه آية النحل، وآية فصلت من اختيار أحسن صور المجادلة حيث الرفق واللين وحسن القول للوصول إلى المقصود. والخطاب في آية النحل والإسراء يشمل كلَّ داعٍ يدعو إلى الله، شريطة تطبيق هذه المعايير: (الْحِكْمَةُ، وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ، وَالْمُجَادَلَةُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، وهذا طريق الترقي والتصعيد في استخدام وسائل والإقناع، والحجج والبراهين الساطعة رجاء إجابتهم للإسلام، وكل سبل الخطاب المناسبة والموفية بالغرض، ودل فعل الأمر(ادْعُ ، وَجَادِلْهُم) على مراتب الأفعال في الحسن والقبح، والصلاح والفساد، مع حضور اللين في مقصودها وتأديتها، فالموعظة للمذعن المسالم، أمَّا من اشتدَّ جداله بحجج باطلة، ومقدمات كاذبة، وعلا صوت المغالبة والمشاغبة، فهذا لا يناسبه حسن الجدال، ولين الكلام؛ لغياب الفائدة، وضياع الوقت والجهد، ويلزمه خطاب العقل، وتوارد الحجج الدامغة، فيقذف بالحق عليه، ويذهق. ونتيجة الأمر(ادْعُ) ولوازمه، مفهومة من السياق، فبها تصح النفوس، وتسلم القلوب من المخاطر، وتعود إلى رشدها، وبها تلين القلوب، وتتأثر النفوس إيجابيا، وتقف عن غيها، وبها يزداد أهل الإيمان إيمانا.

ويلحظ الارتباط الوثيق، وتعانق الدلالات بين آية النحل وآية الإسراء ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾، و ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا﴾ ، فالقول امتداد للدعوة، ويطلب أن يكون بالحكمة والمجادلة بالتي هي أحسن، وفيه انتقال من الخصوص إلى العموم (البقاعي، 2003: 74/5).ونصت آية فصلت على النتيجة الحقيقية لاستخدام محاسن القول، وهي إزالة العداوة والبغضاء، وتحولها إلى محبة واحترام وود، وهذه غاية سامية، ومبتغى مأمول، فلا داعٍ للجدال الممقوت الذي يوغر الصدور، ويثير الفتن، ويغضب الآخر بلا نتيجة واقعية، وتأسيسًا على ما تقدَّم فإنَّه يجب الترفع عن الجفاء الجدلي لغياب التسامح في إطار حرية التدين أو الاعتقاد، ومن دلالات الحثِّ على التعايش والتلطف والتودد في الحوار مع المخالف، وإنصافه في الخطاب، ما جاء في الآية الأخيرة، فقد أُخرج الكلام الموقن بصدقه في هذه الآية مخرج الشك؛ للمبالغة في المعنى المراد، وإقامة الحجة على الطرف المعاند، وترك مساحة له للتفكر حتى يعود طواعية إلى الحق البين، وهذا من الكلام المنصف، وفيه دلالة واضحة على مَن هو مِن الفريقين على الهدى ومَن هو في الضلال المبين، وكان التعريض والتورية أفضل بالمجادل إلى الغرض، وأهجم به على الغلبة، مع قلة شغب الخصم، وفلّ شوكته بالهوينا، ونحوه قول الرجل لصاحبه: علم الله الصادق مني ومنك، وإن أحدنا لكاذب (الزمخشري، 1987: 581/3). وقد ناسب التعبير في الموعظة بأن تكون حسنة؛ لتسليم الطرف الآخر بالمقدمات والفكرة الأساسية، ولكنه يحتاج إلا مزيد من الموعظة التي ترقق القلب، وتزيد من الإقناع، بخلاف مقام الجدال، فلا يوجد بديل سوى التعبير بـ» التي هي أحسن» لقوة رد المخالف وشدة عناده، فوجه القرآن إلى أفضل الطرق وأنجعها في الإقناع والتأثير، وهذه تحتاج إلى فطنة الداعي، وسعة ثقافته بالمخالف، واختيار طريق الخطاب النافع والمؤثر، ومهما زاد عناد الطرف المخالف، فإن القرآن يوجه المسلم إلى العدل في الخصومة، والمساواة بين الأطراف، ودل النسق اللغوي في قوله سبحانه ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ على الاستدراج والاستمالة للطرف المعاند من خلال أفضل وسائل الحوار وأنجعها، لقيامها على الاحترام المتبادل، والنظر إلى الأمر بحيادية وإنصاف، ومحو أي مقدمات

قد تفسد الحوار. وقد اتحدت الآيات السابقة في الهدف العام، واختلف المنهاج التركيبي فيها بما يتناسب مع سياق كل سورة وغايتها، وتناوب أسلوب الأمر والنهي، وهذا من تصريف القول، وضروب بلاغة القرآن وإعجازه. ومن خلال سياق النظم في الجدال بالتي هي أحسن مع غير المسلمين يتبين أن حسن الجدال وتحري العدل والإنصاف في القول، والإحسان فيه مقدم على غيره؛ لما له من آثار إيجابية، أما إذا بلغ عناد الطرف الآخر مداه، فهذا لا فائدة في جداله؛ لغياب الهدف المنشود.

بلاغة التعايش مع الآخر بالزواج من نسائه والأكل من طعامه

إنَّ التعايش المفضي إلى التواصل والاختلاط مع أهل الكتاب على صعيد المأكل والمشرب والزواج من محصنات أهل الكتاب أباحه المولى، قال تعالى في شأن هذه الإباحة: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[المائدة: 5]، فالآية تجسد الترابط العاطفي، والتعايش السلمي، والتماسك الإنساني، والمشاركة الاجتماعية، والاختلاط من أجل البناء، وبدا ذلك في تحليل الأطعمة، وتبادلها بين المسلمين وأهل الكتاب، بيعًا وشراء، وتقبل كل منهم الآخر بمودة ومجاملة وتهاد وتضايف وأكل وشرب، وهذه ترجمة واقعية، ودليل فاعل على التماسك الإنساني. ثم يترقى النص القرآني في ضمان الترابط والانسجام مع الآخر حيث الترابط الكلي، من خلال إقامة بيت يقوم على المودة والسكن والرحمة، فأحل زواج المسلم من النساء الطيبات وغيرها من أهل الكتاب، وقرن ذكرهن بذكر الحرائر العفيفات من المسلمات، وحذر من الكفر بشرائع الإسلام، وبما أحل الله وحرّم؛ حتى يظل العقد المتصل بالجانب الإنساني قائمًا (الزمخشري، 1987: 1/6-8).

ودل لفظ (اليوم) على الإعلام الصريح، وهو يفيد الإطلاق، ودلت جملة (وطعام الذين أوتوا الكتاب) على الرخصة والمنة العظيمة التي يحتاجها المسلمون بعد كثرة مخالطتهم لأهل الكتاب، تبعًا لمتطلبات الحياة، وأن تحريم طعامهم بعمومه على المسلمين فيه مشقة عليهم، وفي تخصيص الرخصة بأهل الكتاب دون غيرهم، لأنهم على دين إلهي يحرم الخبائث، ويتقي النجاسة، وانضباط شؤون حياتهم، وهي مستندة للوحي الإلهي (ابن عاشور، 2000: 5/43-44). وفي عطف (والمحصنات)، على (وطعام الذين أوتوا الكتاب) ترقٍ في الاحتياج والتواصل والترابط حتى الوصول إلى إباحة الزواج من الكتابيات تيسيرًا، وفي هذا تقرير للتسامح مما يعود القلوب على الشعور بأن الدين معاملة بين العبد وربه، فالعقيدة طور من أطوار القلوب وأمرها بيد علام الغيوب، فهو الذي يحاسب عليها، وغاية العارف بالحق التنبيه والتعليم والنصح والإرشاد، دون كفر لنعمة العشير، أو أن يسلك مسلك التعسير، أو قطع الأمل في النصير، أو إخلال بالعهد، والحياد عن شرائع الصدق في الولاء (عوض، 1964: 110). وهذا ضمان اجتماعي متباعد الأطراف لبناء كيان مجتمعي مختلف في الدين والثقافة والعادات والتقاليد، وتغليب روح الوئام بصور مختلفة، ويتجلى ذلك في الطعام والشراب وزواج المسلم من الكتابية والسكن إليها. ولا شك أن التدافع الحضاري يفيد استمرار الحياة، بخلاف التصارع الذي يؤدي إلى الفناء، والأول ينشد الخير والحق والعدل والتسامح للإنسانية، وإذكاء روح التعارف الثقافي والعلمي، وإقصاء التوجهات الفكرية والأيدلوجية حتى لا تكون حجر عثرة في الترابط والوئام (الهيتي، 1425: 148-150).

بلاغة الآيات التي تدعو إلى عدم مولاة غير المسلم

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ ﴾ [البقرة:217]، قال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: 28]. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: 144]. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: 51]. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.[المائدة: 57]. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: 23]. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: 1].

هذه الآيات وغيرها تدعو المسلم إلى عدم مولاة من ليس مسلما، وهذا يشمل كفار مكة وأهل الكتاب (اليهود والنصارى)، وهي مرتبطة بمقامتها، والتحذير جاء لبعض ضعاف الإيمان، الذين ظلوا على ولائهم القديم لليهود؛ ضمانا لحياتهم، ونلحظ تصريف القول وسياسته في الحديث عن كلا الفريقين، فتارة يصرح بالفئة المستهدفة (الكافرون، اليهود والنصارى، أهل الكتاب)، وجميع الآيات اتخذت أسلوب النهي أداة لعدم الموالاة والاستلام لهم على حساب الموالاة للمسلمين ، والتحذير من موالاة غير المسلم لأوصاف فيهم؛ فضلا عن إيذائهم المسلمين قولا أو فعلا، أما من سالم المسلمين ولم يصد عن سبيل، ولم يتعرض للمسلمين بسوء من قول أو فعل فلا يضير من أكل طعامه، والزواج منهم، بل ولهم الحق في حفظ أمواله وعرضه وصيانة دور عبادته، ولا يشمله النهي من مولاته ومعايشته، وقد

نصت الآيات على عدم مولاتهم بسبب ما قدموه تجاه الإسلام والمسلمين (اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا)، (وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ)،ويلحظ تقديم النتائج على المقدمات، وهذا يتناسب مع مخالفة هؤلاء للطابع الإنساني السديد.

المبحث الثالث: خصوصية النظم في آيات موالاة غير المسلم وعدم موالاته

تعانق الألفاظ والمعاني:

الناظر في آيات التعايش والتسامح يلحظ دقتها في التعبير عن المعاني المقصودة، وكشفت عن الحدود الفاصلة بين ما تجوز موالاته من غير المسلمين وما لا تجوز، ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: 113–114]. تدل الآية على أن هناك فئة أخرى لا تعرف إلا العناد، والإصرار على الكفر، وهي فئة ممقوتة، و« المراد بنفي المساواةِ نفيُ المشاركةِ في أصل الاتصافِ بالقبائح المذكورةِ لا نفيُ المساواةِ في مراتب الاتصافِ بها مع تحقق المشاركة في أصل الاتصافِ بها، أي ليس جميعُ أهل الكتابِ متشاركين في الاتصاف بما ذُكر من القبائح والابتلاءِ بما يترتب عليها من العقوبات» (أبو السعود، د ت: 2/72–73).

كثرت الآيات التي تحث إلى مولاة غير المسلم المسالم، والمعايشة معه، ومعاملته بالحسنى؛ ولهذا لا يجوز تعميم الأحكام على أهل الكتاب جميعًا، وذلك بنفي الخير عنهم جميعا، فقد استثنى القرآن فئة منهم باقية على الحق أسلموا وآمنوا وصدقوا برسالة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا وجب العدل فهم والبر بهم.

التعبير بالاسم (أهل الكتاب) بدلًا من الضمير العائد عليهم، بيان للفئة التي عرفت الحق منهم، واتسمت بالاستقامة، ودعت إلى المعروف، ونهت عن المنكر بعد أن صدقوا في إيمانهم، ثم أخذ القرآن في تعداد الصفات الفاضلة التي التصقت بالفئة المهتدية للحق منهم، وما استحقوه من الرضا والجزاء (الزمخشري، 1987: 1/402). وهي ما يلزم التعايش معها، ومعاملتها بلين ورفق وإحسان. وأهل الكتاب ليسوا على منهج واحد، ولا يتساوون في صدق الإيمان بآيات الله، لهذا أوصى القرآن باحترامهم وتقديرهم، وحسن معاملتهم، فمنهم صالحون خاشعون له يأملون الأجر والثواب قال تعالى في تجلية هذه الحقيقة الدامغة: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: 199]. ومن بلاغة القرآن التعبير بالكثرة لا بالجمع في الحكم على أهل الكتاب، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ قال تعالى: [المائدة: 59]، فالنداء فيه أمر للنبي ـصلى الله عليه وسلمـ بدعوة أهل الكتاب إلى أن يعودوا إلى ميثاق ربهم، والتعبير بـ(أهل الكتاب) فيه تبكيت بسبب كفرهم بكتابهم، ويلمح فيه معنى التهديد بإنزال عقوبة بهم نظير مكابرتهم، وأن العقاب نازل بهم كما نزل بأسلافهم، وفي التعبير بأكثرهم (وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ)؛ تدليل على أنهم «الحاملون لأعقابهم على التمرد والعناد» (أبو السعود، د ت: 3/54). والاستفهام للإنكار بمعنى النفي، وفيه تأكيد للمعنى المقصود، واستخدام لفظ الكثرة دليل على وجود فئة مؤمنة، ولو كانت قليلة، ويجب أن يُكفل لها العيش في سلام، ويجب على جماعة المسلمين حمايتهم، والذود عن حياضهم. ويتجلى في قوله سبحانه: (وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ) دقة التعبير القرآني في إطلاق الأحكام؛ حيث الحكم على الكثير أو الأكثر، وهذا يعني أن هناك فئة مستثناة، وهم عدد من أهل الكتاب لَا يَزَالُونَ مُعْتَصِمِينَ بِأُصُولِ الدِّينِ وَجَوْهَرِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَحُبِّ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْخَيْرِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ وصفهم القرآن بأنهم كانُوا يُسَارِعُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ، بعدما عرفوه، وأخذوا منه بنصيب كُلٍّ مِنْ جَوْهَرِ الدِّينِ وَنُورِ الْبَصِيرَةِ (عوض، 1947: 6/370). فناسبت الفاصلة سياق الآية، وتعانقت معها في الدلالة المقصودة.

وإيثار التعبير ببعض الصيغ دون غيرها؛ لكونها أدل على المراد، كما قوله تعالى:﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[المائدة: 62]، دل لفظ» كثيرا» على التغليب وليس العموم، وفي هذا تبيان لمنهج القرآن في الدعوة إلى العدل والإنصاف، مع فئة من اليهود والنصارى ولو كانت قليلة، وفي هذا تأكيد على عدم تعميم الأحكام، وأن الأولى التمييز بين الطوائف المختلفة من أهل الكتاب (اللحيدان، 2017: 154). ونلحظ سريان ألفاظ اللين والرأفة في خطاب غير المسلم المسالم، ويؤكد على ذلك ورود قوله تعال: ﴿ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾، في أربعة مواضع من القرآن ترسم سياسة الخطاب مع غير المسلم، ولم يذكر المفعول؛ للدلالة على العموم أي: أحسن من جميع زوايا الأداء، كما تدل صيغة «أحسن» على المبالغة في الخطاب، والترقي في الحلم والرفق بلا حد.

ومن خصائص التعبير في آيات التعايش مع غير المسلمين استعمال لفظة (من) الدالة على التخصيص مع أهل الكتاب، وهذا من تخصيص التخصيص، أي أن المودة ليست عامة، بل تختص بمن غلَّب السلم على الحرب، والعيش في كنف الإسلام بأمان ومودة، ومما جاء في هذا المعنى، قوله تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: 72]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: 75]. فمجيء « من» قبل في أكثر من موضع يؤكد على وجود فئة تستوجب معاملتها بالحسنى.

ومن صور دقة التعبير القرآني استعمال كلمة (فريق) كقوله تعالى: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 100]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 146]، وفي ذلك تخصيص لمن عاند، واستثناء لمن آمن (الخفاجي، 1997: 240/2).

ومن الصور –أيضًا– التعبير بكلمة (طائفة) نحو قوله تعالى: ﴿ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: 69]، ومثله قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: 72]، وفي هذه الآيات توجيه يمثل الجانب العملي في الأمر بالعدل مع الآخر، وإن وجدت فئة أو طائفة تحمل الكره والبغضاء لجماعة المسلمين (الدغشي، 2004: 37–39). وفي هذا دليل على عدم تعميم الأحكام، والدعوة لقطع التعامل من كل أهل الديانات الأخرى، فلكل قاعدة استثناءات.

بلاغة التعبير بالنهي

نلحظ دلالة النهي في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: 8. 9]، والمعنى: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرُّوهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله: (الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ)، جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضًا دون بعض، وقوله: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) أي أن الله يحبّ المنصفين للناس جميعا بلا نظر إلى لون أو جنس أو عقيدة، فضلا عن البر والإحسان. (الطبري، 2000: 323/23). والمقصود بقوله» وتقسطوا إليهم» إعطاؤهم قسطا من أموالكم على وجه الصلة، وليس العدل؛ لوجوبه فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل (ابن العربي، د ت: 1985/4). والآيتان ترسمان للمسلمين المنهج الذي يجب أن يسيروا عليه مع غيرهم، وهو أن من لم يقاتلهم من الكفار، ولم يعمل أو يساعد على إلحاق الأذى والضرر بهم، فلا بأس من بره وصلته، ومن قاتلهم وحاول إيذاءهم فعليهم أن يقطعوا صلتهم به، وأن يتخذوا كافة الوسائل لردعه وتأديبه، حتى لا يتجاوز حدوده معهم (طنطاوي، 1999: 23/17)، فمن اختار العيش في كنف المسلمين مسالمًا كان له العدل والبر والمناصرة، وفي هذا إغلاق للخواطر التي قد تطرأ في طبيعة التعامل مع غير المسلم، وبذلك ضبط الإسلام آداب التعامل والمعاشرة مع غير المسلمين من الترفق بهم، وتحمل الأذى الذي قد يطرأ من مجاورتهم، وحفظ غيبتهم، ودفع من يحاول إيذاءهم. وفي التعامل مع المسالمين من أهل الكتاب استخدم القرآن أسلوب الترقي معهم، فليس الأمر مقتصرًا على المعاملة الحسنة، بل ترقى إلى البر والإحسان الذي لا حد له، وجاء تذييل الآية مؤكدا جمال هذا الصنيع، وهذا مما يحبه تعالى ويجزي عنه الثواب الجزيل، فأجر الفاعل لذلك في الدنيا والآخرة.

ويلحظ القارئ تقديم التعامل بالبر والإحسان محددا من يلزمه ذلك من غيره، فجاء النهي على قتالهم في الآية الأولى لعدم توفر الداعي لقتالهم، ونفي ما علق بالذهن من أن المخالف لا يستحق برًا ومودة، وفي هذا بيان للأولية في التعامل مع غير المسلم، ووضحت الآية التالية دافع قتالهم، فقال جل وعلى: كما يلمح الترابط بين المقدمة والنتيجة في الآيتين، فمن كف يده عن قتال المسلمين وإيذائهم وجب بره، والإحسان إليه، أما من قاتل جماعة المسلمين، وصدهم عن نشر دين الإسلام، فالواجب البعد عنه، وعدم اتخاذه وليا؛ بسبب عنفه.

الترقي في آيات التعايش مع غير المسلم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ(84) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ(85)﴾ [المائدة: 83–85]، هذا إلان صريح بأن أهل الكتاب ليسوا جميعا ممن يلبسون الحق بالباطل، أو يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا تقطع أواصر العلاقة معهم، ففيهم الأبرار الصادقون. وقد أكد على هذا المعنى بأكثر من صياغة، فقوله: (وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرسول) معطوف على قوله: (لا يستكبرون)، فالاستجابة جاءت بسبب عدم الاستكبار؛ ولهذا كان الأثر واضحًا للعيان، وترجمته عمليا من خلا فيض العيون بالدمع نتيجة رقة القلوب وخشيتها الناتجة الإيمان، وتأثرت ببعض ما سمعوا من القرآن، فماذا لو سمعوه كله؟!! لقد أسرعوا في قبول الحق بلا عناد، وترى سرعة الاستجابة في قولهم (رَبَّنَا ءامَنَّا)، وفي قوله: (وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بالله وَمَا جَاءنَا مِنَ الحق) تحقيق لإيمانهم وتقرير له بإنكار سبب انتفائه ونفيه بالكلية، وقد توجه الإنكار والنفي إلى السبب والمسبَّب جميعاً، فهم يطمعون في الصالحين، وهذه نعم يأملون تحقيقها، ولا يرون سببا في عدم إيمانهم؛ ولهذا كان الجزاء بالجنة نظير الاعتقاد الذي بدا واتضح (الزمخشري، 1987: 669/1–670). وهذه مراجعة نفسية صادقة اعتمدت على الترقي في ضرورة الاستلام والإيمان لعدم وجود المعنى، وهذه حجة قوية يقيمونها على بني جلدتهم. وهذ الآية وغيرها من جملة الأسباب الداعية إلى ضرورة التعايش مع الفئة المعتدلة التي تعيش في خندق الاستلام.

خصوصية تصوير نقض العهود والمواثيق

قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (91) وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (92)﴾ [النحل:91–92]. هذا حق أصيل يتساوى فيه الناس جميعا، وله أثره العميق في تحقيق الأمن والسلام والاستقرار، وهو يشمل كل طاعة، ونكث العهد يتضمن كل معصية. والآيات السابقة تركز

على الوفاء بالعهود والمواثيق بلا تفرقة في دين، أو لون، أو جنس؛ لأهميته في بناء العلاقات الإنسانية، أفرادا وشعوبا وقبائل، وهو باعث على تجديد الثقة في النفوس، وقد أوجب الإسلام على المسلمين الوفاء بعهودهم، وحذرهم من نقضه؛ ولهذا جاء التعبير عن ذلك بفعل الأمر الوجوبي» أوفوا» للتذكير بما تعاهدوا عليه سابقا، وأعقب الأمر بالنهي في الآية الثانية؛ للتهويل، فالتحذير من نقض العهد بعد توثيقه لطارئ يطرأ جرم عظيم، وهذا ما دل عليه قوله ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾، وقد أكد بقوله ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ أي: لا تقضوا الإيمان بعد أن جعلتهم الله كفيلا على أنفسكم، وأقسمتم على العهد باسمه، فلا مجال للرجوع ، ويمتد التأكيد على ضرورة الوفاء بالعهد، بالصورة البلاغية المنزوعة من البيئة، وما تتضمنه من معنى الاستهزاء، لما قامت به المرأة من فعل مردود، حيث قامت بعمل مفيد، وهو الغزْل ثم تنقضه، وفي هذا إفساد لما كان نافعا محكما من عملها، وإرجاعه إلى ما كان من قبل، فيفوت الجهد والوقت، وفي هذا تقريب لمعنى النقض، وتقبيح لإبطال العهد بعد توثيقه (ابن عاشور، 2000: 212/13). ونلحظ دقة التمثيل وإحكام بنائه، وصدق المماثلة بين طرفي الصورة التشبيهية، والتدرج في بنائها من المعنوي إلى الحسي، ليثبت المعنى، ويوصل إلى الغرض المسوق له، وهو الترفع عن نقض العهود والمواثيق بعد عقدها؛ لما يترتب على ذلك من آثار غير مرضية، كغياب الثقة على مستوى الأفراد والمجتمعات والدول، وتغييب الأمن والسلام، وهذا يتوافق مع كل زمان ومكان، ويلحظ التحول والأثر في صورة المشبه به، والجمع بين الشيء وضده. ولما كان الوفاء بالعهد خلق عظيم، وحق لا يمكن الرجوع أكد عليه في أكثر من آية بعد ذلك في نفس السورة. وتنوع أسلوب القرآني في الحديث عن الوفاء بالعهد بين الأمر بالتنفيذ، والنهي عن النقض والبطلان؛ لانقضاء المصلحة، أو تغيير حصل من الطرف الآخر، وبلغ عدد الآيات في بيان أحكام الإسلام الخاصة بالعهود، وفي إشادته بالموفين بالعهد أكثر من عشرين آية، وأن الوفاء بالعهد فضيلة، ونقضه كبيرة من الكبائر في حق القريب والبعيد والمسلم وغير المسلم.

نفي المساواة في التعامل مع الآخر

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[فصلت: 34]، بين الآية صور التعامل مع المخالف والأثر المرتب على الفعل والقول الحسن، ويفهم بطريق المخالف الفعل والقول السيء وما يترتب عليه من نتائج مؤيسة. وتلحظ الدقة القرآنية في اختيار أفعل التفضيل أحسن» مكان الحسنة؛ ليكون أبلغ في الدفع؛ لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها، ومن مظاهر الدفع بالحسنى المقابل للسيئة الصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة (الزمخشري، 1987: 200/4). ويلحظ التواشج بين المعاني، والوصل بينها بلا عطف في قوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾، فالجملة جواب عن سؤال مقدر تقديره (وكيف أصنع؟)، ويرجع ذلك إلى المبالغة «والإشارة إلى أنه مهم ينبغي الاعتناء به والسؤال عنه، لقد جمعت الآية مكارم الأخلاق وأنواع الحلم، والمعنى: ادفع أمورك وما يعرضك مع الناس ومخالطتك لهم بالفعلة أو بالسيرة التي هي أحسن السير والفعلات، فمن ذلك بذل السلام، وحسن الأدب، وكظم الغيظ، والسماحة في القضاء والاقتضاء وغير ذلك (ابن عطية، 2007: 484/7). وتلحظ النتيجة الحتمية للمقدمة المؤثرة في قوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، والمعنى: إن فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق (الألوسي، د ت: 199/18)، وتدل (كَأَنَّ) المفيدة للتشبيه على التحول الإيجابي من الشيء إلى ضده، فيصبح العدو ولياً حميماً من أثر الدفع بالتي هي أحسن، وبهذا تزول العداوة بالكلية، وهذا من باب الترقي الشعوري، والفعل العملي، كما يدل التشبيه بكأن على المبالغة في المعنى، واندماج طرفي الصورة، يقول عبد القاهر الجرجاني: «واعلمْ أنَّ ليس شيءٌ أبينَ وأوضحَ وأحرى أن يكشفَ الشُّبهةَ عن مُتأمّله في صحةِ ما قلناه من التشبيه فإنَّك تقول: زيدٌ كالأسد أو شبيهٌ بالأسد. فتجدُ ذلك كلَّه تشبيهاً غُفلاً ساذجاً. ثم تقول: كأن زيداً الأسدُ. فيكونُ تشبيهاً أيضاً. إلا أنك ترى بينَه وبينَ الأول بَوْناً بعيداً لأنك ترى له صورةً خاصةً وتجدك قد فخَّمتَ المعنى وزدتَ فيه بأن أفدتَ أنه من الشجاعة وشدةِ البطش وأنَّ قلبَه قلبٌ لا يخامرُه الذعر ولا يدخلُه الروع بحيثُ يتوهَّم أنه الأسدُ بعينه. ثم تقول: لئن لقيتَه ليلقينَّك منه الأسد فتجدُه قد أفاد هذه المبالغةَ، ولكن في صورةٍ أحسنَ وصفةٍ أخصَّ وذلك أنك تجعلُه في «كأن» يتوهَّم أنه الأسد وتجعله هاهنا يُرى منه الأسدُ على القطع فيخرجُ الأمر على حدِّ التوهُّم إلى حدِّ اليقين (الجرجاني، 1992: 425). والآية دليل عملي على ضرورة تعامل غير المسلم بتسامح، وإقامة ترابط عملي مع الأمم المختلفة، والتخلص من العصبيات المقيتة، وبهذا تكون الآثار الإيجابية، وفيه تأكيد على أن راقية في تعاملها مع الآخر بنص القرآن الكريم، فهي تقوم على التدافع لا التصارع، والبناء لا الهدم؛ ولهذا بقيت آثاره مستمرة.

الخاتمة

بعد المعايشة لآيات التعايش مع غير المسلمين، من الوجهة البلاغية نسجل أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ومنها:

- تآخي الألفاظ والمعاني والترابط بينها في إيجاز وإحكام، وإيثار بعض المفردات والصيغ الدالة على المراد.
- غلبة أساليب الأمر والنهي المباشر وغير المباشرة بغرض توجيه المسلمين، وإرشادهم بضرورة المحافظ على حقوق غير المسلمين المسالم، وعدم أذاهم بقول أو فعل، كما وجهته إلى معاملته بمكارم الأخلاق، وحميد الصفات.
- بلاغة التصوير في ضرورة الوفاء بالعهود والمواثيق، وناسبت صورة المشبه به المعنى المراد. وهو التحذير من

نقض العهد، فيضيع السلم والأمن للأفراد والشعوب.

- برز تعانق المعاني وترابطها سواء أكان في السورة أم في عدة سور من القرآن لما بينهما من وشائج في المقصود والغاية.
- كثر ورود ألفاظ اللين والرحمة والمودة والمعاملة بالحسنى لمن لم ينصب عداء للمسلمين، أو يصد عن سبيل الله.
- جاء التحذير بأسلوب النهي المباشر من موالاة الكفار وأهل الكتاب الذين يقدمون الحرب على السلم، والغدر على الوفاء، والخيانة على الأمانة، وعاندوا وكابروا.
- ضرورة تحكيم السياق في النظر في بلاغة القرآن الكريم عامة، وآيات التعايش مع غير المسلمين بشكل، حتى تعمم الأحكام؛ لأن هناك من أهل الكتاب من رق قلبه، وخضع للحق؛ ولهذا يجب النظر إلى خصوصية الخطاب ودلالته.
- حذر القرآن الكريم في آيات التعايش من عدم معاملة غير المسلم بالعدل والإحسان؛ بسبب ما قدمه بعضهم من إساءة، وجاء التوجيه بالنهي الصريح، وهذه من المعاني النفسية التي تحتاج دائما إلى التذكير بحقوق الآخر، وعدم الرغبة في الاقتصاص.

ويوصي البحث بدراسة بلاغة الآيات التي تندرج تحت موضوع واحد، وتحليلها في ضوء نظرية النظم، كآيات الصلاح في الإنسان والعمران، وآيات التعارف والمصالحة.

وجود الصلة بين آيات التعايش وإن تفرقت في السورة الواحدة أو عدة سور من القرآن، وأن التشابه في بعض أجزائها ناتج عن التوافق في المعنى، ويبقى لكل آية خصوصيتها التي ترتبط بمقاصد السورة.

نتقدم بخالص الشكر والتقدير لعمادة البحث العلمي بجامعة حائل لتمويلها للمشروع البحثي رقم (BA-2125).

المراجع:

ابن العربي، أبو بكر محمد عبد الله. (1785). أحكام القرآن. (ط1). [تحقيق: علي محمد البجاوي]. دار الجيل.

ابن عاشور، محمد الطاهر. (2000). تفسير التحرير والتنوير. (ط1). مؤسسة التاريخ.

ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق. (2007). تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. [تحقيق: الرحالة الفاروق وآخرين]. (ط2). دار الخير.

أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى. (د ت). إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. دار إحياء التراث العربي.

أبو زهرة، محمد (1426). المجتمع الإنساني في ظل الإسلام. (ط1). هدية مجلة الأزهر.

الألوسي، شهاب الدين محمد الألوسي. (د ت). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار إحياء التراث العربي.

أمين، محمد ومصطفى، زانا وداود، مازية ومحمد، نور أمالي. (2017). مظاهر التسامح الإسلامي مع غير المسلمين دراسة تحليلية. *مجلة الإسلام في آسيا*. 14 (2). 162-189.

البقاعي، برهان الدين. (2003). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. (ط2). دار الكتب العلمية.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله. (2002). تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل. (ط1). دار البيان العربي.

الجرجاني، عبد القاهر. (1992). دلائل الإعجاز. (ط3). [قرأه وعلق عليه: محمود محمد شارك]. مطبعة المدني.

حفني، عبد الحليم. (1992). إنصاف الخصم في القرآن وأثره الإعلامي. (ط1). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد. (1997). حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي. (ط1). دار الكتب العلمية.

الدغشي، أحمد محمد. (2004). صورة الآخر في فلسفة التربية الإسلامية. (ط1). *مجلة المعرفة*. العدد (13).

الزمخشري، محمود بن عمر. (1987). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. (ط3). دار الريان للتراث.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (2000). جامع البيان في تأويل القرآن. (ط1). [تحقيق: أحمد محمد شاكر]. مؤسسة الرسالة.

طنطاوي، محمد سيد. (1999). التفسير الوسيط. (ط4). طبعة الشؤون الإسلامية.

الطيبي، شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله. (1986). التبيان في البيان. (ط1). [تحقيق: توفيق الفيل، وعبد الله لطف الله]. دار السلاسل.

عبد الله، محاسن حسن الفضل. (2018). التعايش في القرآن الكريم دراسة تأصيلية. المؤتمر القرآني الدولي السنوي المقدس 7. ص 1-39.

عوض، محمد عبده. (1947). تفسير القرآن الحكيم، المشتهر باسم تفسير المنار. (ط2). دار المنار.

عوض، محمد عبده. (1964). الإسلام دين العلم والمدنية. (ط1). [تحقيق وتعليق: طاهر طناحي]. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الغرناطي، أحمد إبراهيم بن الزبير الثقفي. (1983). ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل. (ط1). [تحقيق: سعيد الفلاح]. دار الغرب الإسلامي.

اللحيدان. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان. (2017). دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في المجتمع الإسلامي. (ط1). دار الحضارة للنشر والتوزيع.

المنجور، أبو العباس أحمد بن علي. (2009). مراقي المجد لآيات السعد. (ط1). [تحقيق: مبارك بن شتيوي الحبيشي]. عمادة البحث العلمي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الهرباوي، فاطمة فايز. (2020). دور التربية في تعزيز التعايش بين الأديان. *مجلة العلوم التربوية والنفسية*، المجلد 4 (38). 122 - 142.

Amin, Muhammad Zana, Mustafa, Mazia, Daoud, Nur Amali Muhammad. (2017). Manifestations of Islamic tolerance towards non-Muslims, an analytical study. (In Arabic) *Journal of Islam in Asia* 14 (2), pp. 162189-.

Al-Daghashi, Ahmed Muhammad. (2004). The image of the other in the philosophy of Islamic education. (In Arabic). First edition. *Saudi Arabia: Al-Ma'rifa Magazine,* Issue: 13.

Abdullah, Hassan Hassan Al-Fadl. (2018). Coexistence in the Holy Qur'an is an original study. (In Arabic) The Annual International Qur'anic Conference, Muqaddas 7, pp. 139-.

Al-Herbawi, Fatima Fayez. (2020). The role of education in promoting coexistence between religions. (In Arabic). Journal of Educational and Psychological Sciences, Volume 4 (38). pp. 122142-.